تصنيف الأصوات اللغوية في فواتح السور بين الباقلاني والزمخشري

les Catégorie du sons linguistiques au début du souratt coranique

يمينة مختاري
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
aminamokhtari27@gmail.com
إشراف أ.د بن يشو الجيلالي

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-12-09	2018-12-27	2019-01-18

الملخص:

من خلال دراستهم للحروف المقطعة من ناحية المخارج تنبه البلاغيون إلى خاصية هامة في هذا النوع من الفواتح هي أنها في مجملها تمثل نصف حروف المعجم ويندرج تحت هذا النصف أنصافا أخرى من المجهورة النصف ومن المهموسة النصف ومن الشديدة النصف...مصنفة حسب صفات الأصوات ولعل أول من تكلم عن هذه الظاهرة أبو بكر الباقلاني، في كتابه إعجاز القرآن ، ثم جاء بعده الزمخشري وأضاف فوق أنصاف الباقلاني أنصافا أخرى هي تفصيلات الأنصاف الكبرى التي جاء بها الباقلاني وكانت كل هذه النتائج بناء على معطيات علم الأصوات أنذاك فإلى أيّ مدى ستتطابق هذه النتائج مع معطيات الدرس الصوتي الحديث؟

الكلمات المفتاحية: الجهر ; الهمس ; الشدة ; الصفات ; التفخيم

Résumé

Selon les recherches sur les Lettres séparer d'un coté ou des points d'articulations des lettres dans ce résultat qui a donné une observation étonnante au profit des Rhétoriciens a ce que ce type d'entré « les début coranique » contiens toute genre de ces lettres ou la moitié des lettres de langue arabe,ce qui fait quatorze parmi vingt huit lettres . Ainsi que le premier qui a chercher cela c'est bien « El-Bakillanni » dans son ouvres intitulé « Les Miracles Coranique » précéder par cette intention de recherche « Zamakchari » qui a fait que continuer ce qui soit dans cette recherche bouleversante dans la langue arabe, pour lui donné de nouvelle détails et observations . Mais la question qui ce pause comment elle doivent être compatible a la nouvelle phonologie par le début des sourate coranique tel et la question ? et qui donne une très grande réflexion a pensé .

Mots Clés: Le Sons/ les début du souratt/ la moitié des lettres

تمهيد:

"يتخير القرآن الكريم حروف الكلمة وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها لذيذة في السماع، طيبة المجرى على اللسان، معتدلة في تأليفها، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع قوية الإيحاء، شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني الواردة والأهداف المقصودة من الآية الكريمة، فنجد في تركيب حروفه تناسقا عجيبا بين الرخو منها والشديد والمجهور والمهموس والممدود والمقطوع ونرى أن اجتماعها إلى بعضها يؤلف نغما موسيقيا يظهر أثره في صوت القارئ."[1]

لقد نالت الدراسات الصوتية عناية فائقة من لدن العلماء المسلمين؛ نظرا لارتباطها بالكتاب المبين . وما يهمنا هنا هو اهتمام البلاغيين الذين جعلوا من المستوى الصوتي اهتماما من اهتماماتهم بوصفه بابا من أبواب الفصاحة وبعض المنتصرين لرأيهم من مشارب أخرى كالفقة والتفسير والأصول، ممن اعتنوا بالتصنيف الصوتي للحروف المقطعة في فواتح السور المذكورة ، وبيان أسرارها التركيبية، ودلائلها الصوتية، أمثال أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، وأثناء محاولتهما لبيان إعجاز هذه الحروف، اكتشف هذان العالمان قوانين صوتية تحكم هذه الحروف. واطّلعا على طريقة تنسيق عجيبة بينها، تؤسس لها هندسة الخالق وتبرهن من جديد على إعجاز هذا الكتاب.

ونحاول فيما يلي بيان تصنيف الأصوات في فواتح السور المبتدئة بالحروف المقطعة عند الرجلين. لكن قبل ذلك هنالك مقدمة لا بدّ منها:

إذا أردنا التأسيس لدعم الأرضية التي نقف عليها لبناء هذا الرأي الصوتي الأصيل؛ عدنا إلى عرض الحروف التي تتألف منها هذه الفواتح في الفصل الأول وقد اتضح من ذلك "العرض المفصل أن مجموعة الفواتح القرآنية تسع وعشرون، وأنها على ثلاثة عشر شكلا، وأنّ أكثر الأحرف ورودا فيها الألف واللام ، ثمّ الميم ثمّ الحاء، ثم الراء ثمّ السين، ثم الطاء، ثم الصّاد ثم الهاء والياء والعين والقاف، وأخيرا الكاف والنون، وجميع هذه الحروف الواردة في الفواتح من غير تكرار يساوي أربعة عشر، وهي نصف الحروف الهجائية."[2] لم يذكر صاحب الكتاب شيئا عن صاحب الاستنتاج، وبما أن الكتاب له وهو لم يرفقه بإحالة فنحسبه من اجتهاداته الخاصة غير أنه أقحم هذا الرأي بين الآراء المنقولة عن علماء السلف دون سلف لكن المهم عندنا الآن هو تتمة هذا القول:"وبذلك يستأنس المفسرون القائلون: إنّ فواتح السور إنما ذكرت في القرآن لتدل على أنّ هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجّي المعروفة، فجاء بعضها مقطعا منفردا، وجاء تمامها مؤلفا مجتمعا، ليتبين للعرب أنّ القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله."[3]

ولعل حسابا ذهنيا بسيطا يدلنا على خلل بسيط في قول الدكتور صبحي الصالح الأسبق؛ إذ سور الميمات (المبدوءة بالميم) ستة بالإضافة إلى الأعراف التي بدايتها (المر)، والراءات المبدوءة بـ(الر) خمسة بالإضافة إلى سورة الرعد المبدوءة بـ(المر) سنجد أنّ عدد تكرار (ال) ثلاث عشرة مرة بينما تكرار الميم سبع عشرة مرة حيث وردت سبع في الحواميم وحدها وسبع في الميمات و(المص) الأعراف ضف إليها الميم الواردة في (المر) الرعد، واثنان في الطواسين . فما بال صبحي الصالح يجعل الألف على رأس قائمة الحروف الأكثر تكرارا، ويجعل اللام بعدها؟ ولو ربط بينهما بالواو لهان الأمر لكنه استعمل ثمّ التي يكون الترتيب بواسطتها أوضح، ولعلنا نستفيد من القول التالي لبدر الدين الزركشي أورد فيه عدا عكسيا لهذه الحروف فجاء ترتيبه تصاعديا فقال:" واعلم أنّ الأسماء المتهجاة في أوائل السور ثمانية وسبعون حرفا فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين والصاد في ثلاثة والطاء في أربعة والسين في خمسة والراء في ستة والحاء في سبعة والألف واللام في ثلاثة عشر والميم في سبعة عشر وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما:

كُنْ وَاحِدٌ عَيْقُ اِثْنَانِ ثَلَاثٌ صَا دُ الطَّاءُ أُرْبَعَةٌ وَالسِّينُ خَمْسٌ عَلَا

وَالرَّاءُ سِتٌّ وَسَبْعٌ الحَاءُ آلَ وَدَجْ* وَمِيمُهَا سَبْعَ عَشْرْ تَمَّ وَاكْتَمَلَا"[4]

7(ح)+6(ر)+5(س)+4(ط)+3(ص)+(2)ق+ (2)ه+ 2(ي)+2 (ع) +1(ن)+1(ك)+ 13(ال)+17(م) =78.

"وهي في القرآن فيي تسعة وعشرين سورة ، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا، يجمعها قولك:نص حكيم قاطع له سر...ومنهم من ضبطه بقوله:طرق سمعك النصيحة . وصن سراً يقطعك جمله....."[5]

لكن العبارات الجامعة لهذه الحروف على ما روعي في انسجامه من قوانين البلاغة من بيان وبديع وانسجام صوتي يعلق في الذهن حاولوا بهذه الجمل الانتصار لنظرتهم الإعجازية حيث "لاحظ أصحاب هذا الرأي -وهم في أوج حماستهم لفكرتهم هذه- أنّ تحدّي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله يزداد وضوحا ويكتسب قوة بظاهرة غريبة حقا نعجب لدراستهم لها والتفاتهم إليها!"[6]

وإذا تملكنا الفضول لمعرفة هذه الظاهرة الصوتية العجيبة نجد هذا النص:"لم يكتف القرآن باشتماله على فواتح مختلفة يبلغ تعدادها تمام حروف الهجاء ولا بتأليفه تلك الفواتح من نصف الحروف الهجائية، بل حوى فوق ذلك من كل جنس من الحروف نصفه، فمن حروف الحلق: الحاء والعين والهاء، ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون،

ومن الحرفين الشفهيّين :الميم واللام والعين والراء والطاء...اخ ثمّ هذه الحروف ذكرت تارة مفردة وتارة حرفين وطورا ثلاثة، وأحيانا أربعة وخمسة، لأنّ تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة."[7]

هذا النص -على قصره- أيقونة من أيقونات علم الأصوات . لكن بادئا ذي بدء ،لا بد لنا من تأصيل هذه النظرية وردّ الفضل إلى صاحبها الأوّل: ولعلّ أوّل من تكلم عن هذه القضية (تقسيم الحروف المقطعة حسب المخارج والصفات) وهو أبوبكر محمد الباقلاني (ت403هـ).

1- التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الباقلاني:

لقد كان في طليعة الأعلام الذين تحدثوا عن صفات أصوات الحروف المقطعة في كتابه حيث خصص لها مبحثا في كتاب إعجاز القرآن وخرج منه بنتائج مهمة مثلت فاتحة الدرس الصوتي لهذه الحروف. اعتمد عليها من جاءوا بعده وما حصلوه من نتائج لا يعدوا أن يكون تحيينا للمعلومات الصوتية التي قدمها -على حسب ما وصل إليه علم الأصوات في حياتهم وبعد مماته-

1-1-جملة الحروف المقطعة نصف جملة حروف المعجم:

قال الباقلاني:"إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح بها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه (الحروف) في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة. وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره، والذي تنقسم إليه هذه الحروف أقساما: فمن ذلك قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة وهي: الحاء والهاء والخاء والشين والثاء والفاء والتاء والصاد والسين.وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السورة، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان"[8].

وإذا تأملنا مليّا هذا الرأي من أوله وجدنا فيه أكثر من تفصيل صوتي يجب الوقوف عليه،إذ أن العبارة الأولى في النص معكوسة ولا نظن أن ذلك حدث عفويا إذ أن السور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة وليس ثمان وعشرون ولا نظن رجلا مثله التفت إلى هذه الدقائق وغفل عن هذه الحقيقة التي يعرفها العام والخاص !لكننا لن نعطي الموضوع أكبر من حجمه ولا نؤوله لأنه محض سهو.عنده أو عند المحقق أو الطابع لسنا ندري؟!

لكن المهم عندنا الآن هو رأيه في عدد الحروف-ففيه خلاف بين العلماء- فإن صح توقعنا وكانت الجملة البدئية معكوسة، فعددها عنده ثمانية وعشرون حرفا.

وحاصل سبب الاختلاف في عدد الحروف مرجعه إلى الخلط بين ألف المد والهمزة ، إذ أن الف المد اشتركت مع الهمزة - سواء كانت قطعا أو وصلا- في رمز واحد. فالاشتراك بين هذين الصوتين كان سببا أساسيا في الاختلاف حول إحصاء الأبجدية حيث ينظر بعض العلماء إلى هذين الصوتين على أنهما حرفا واحدا فتصبح الأبجدية بذلك ثمانية وعشرون حرفا والبعض الآخر يميز بينهما فتصبح تسعة وعشرين حرفا. ولعلنا لا نستطيع الجزم برأي الباقلاني في هذه المسألة نظرا للالتباس الذي أشرنا إليه في بداية قوله.[9]

فإن قال قائل أن الباقي من كلامه حل الإشكالية، فإن أربعة عشر نصف ثمانية وعشرون. قلنا أنه لم يجزم بذلك عندما استعمل اللفظ الفضفاض (جملة) مرتين –وهذا مكر منه- لأن أربعة عشر بذلك يمكنها أن تمثل القيمة التقريبية لنصف التسعة والعشرين . وذلك ينطبق أيضا على الأنصاف الأخرى بوصفها قيما تقريبية للنصف وليست أنصافا بالضرورة. فمجموعات أجناس أصوات الحروف تكون قيما فردية في بعض الأحيان وتكون خلافية في أكثر الأحيان. فإن زاد حرف أو نقص بين عالم أو آخر فهي النصف بالإجمال لا التدقيق فسلم بذلك من أغلب الانتقادات التي جادت بها معطيات الدرس الحديث للأصوات.

وذلك ما وقع فعلا في حروف الهمس. وفي ما يلي توضيح لذلك:

1-2-المستعمل من حروف الهمس في الحروف المقطعة نصف حروف الهمس في المعجم:

حروف الهمس عنده :"عشرة هي الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والثاء والفاء والتاء والصاد والسين"[10] ونصفها خمسة مذكورة في الفواتح هي: الحاء والهاء والكاف والصاد والسين. وجاءت في فواتح السور التالية: مريم، يس، فصلت.

لكن الدرس الصوتي الحديث يضيف إلى تلك القائمة ثلاثة حروف هي: الهمزة والطاء والقاف. فيكون المجموع ثلاثة عشر بإضافة: الهمزة والقاف والطاء.[11] واستعمل منها في الفواتح: الطاء والقاف. لتشكل سبعة وهي تقريبا نصف الثلاثة عشر. فأية أعجوبة هذه التي جعلت نظريته تصدق رغم المستجدّات.

فإن قيل: ما بالكم تجاهلتم الهمزة؟ قلنا أن الألف الموجودة في بداية (الم) كانت لها أحكام مختلفة في القراءات ولم يفصل في كونها همزة وصل أو قطع أو ألفا وقد تم تفصيل ذلك في هذا الفصل في باب القراءات والإعراب ضف إلى ذلك أن الرسم العثماني القديم لم يثبت للهمزة شكلا خاصا[12] ووجودها فيه الآن من التحسينات التي طرأت عليه.

ولا يفوتنا الالتفات في هذا المقام إلى تفسير إبراهيم أنيس للاختلاف بين القدماء والمحدثين في صفات بعض الأصوات ومنها المعنية هنا:"القاف والطاء اللتان رمى القدماء إلى قلقلتهما ليستا القاف والطاء اللتين نسمعهما الآن في قراءة المقرئين في هذا العصر، وإنما هما القاف والطاء كما كان ينطق بهما مجهورين، فالقاف كان ينطق بها كالغين، والطاء كان ينطق بها كالضاد الحديثة التي نسمعها الآن من قرّائنا."[13] وتجد نظيرا لهذا التفسير عند البهنساوي-بتفصيل أطول-[14] وكذلك الأمر بالنسبة إلى الهمزة التي اعتبرها القدماء(ومنهم الباقلاني) من الحروف المجهورة. لكنّ البهنساوي يراها مهموسة أما كمال بشر وإبراهيم أنيس فيرانها بين الجهر والهمس[15] وذلك يعكس عدم الاتفاق بين المحدثين حولها.

1-3-حروف الجهر من الفواتح المقطعة هي نصفها في المعجم :

إذا حذفنا الحروف المهموسة للحصول على المجهورة وجدنا: (الألف) والباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء.

وعددها ثمانية عشر 18 باحتساب الألف، أو 17سبعة عشر بدون احتسابها.

والنصف في الحالة الأولى تسعة (09) وفي الثانية ثمانية(08)وهي:(الألف) والراء والطاء والعين والقاف واللام والميم والنون والياء". وهي النصف بالتمام في الأولى وبالتقريب في الثانية.

1-4- عدد الحروف الحلقية من الحروف المقطعة نصف عددها من حروف المعجم:

ثم يعرض الباقلاني تصنيفا آخر: فيقول:"وكذلك مما يقسمون إليه الحروف، يقولون :إنها على ضربين: أحدهما حروف الحلق، وهي ستة أحرف: العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المثبتة في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق."[16]

ويمكننا -من خلال كلامه- فرز الحروف الحلقية المذكورة في الفواتح وهي: العين والحاء والهاء، وعددها ثلاثة بالضبط -إذ العدد ستة عدد زوجيّ يقبل القسمة على اثنين- لكن ذلك يتعارض مع علم الأصوات الحديث، إذ تم التمييز بين الأصوات الحلقية والحنجرية، إذ يخرج من الحنجرة صوتان فقط هما العين والخاء وكلاهما مذكور في الفواتح، ومن الحنجرية صوتان هما الهمزة والحاء. وقد تم التفصيل في الهمزة أما الهاء فهي موجودة في الفواتح.

1-5- الحروف غير الحلقية من جملة الحروف المقطعة نصف الحلقية من جملة حروف المعجم:

أما الحروف التي ليست بحروف حلق-وهي الحروف المتبقية بعد حذف حروف الحلق: (ا)- ب-ت-ث-ج -د- ذ- ر- ز- س - ش- ص- ض- ط -ظ -ع- ف- ك- ل- م- و- ي.

وعددها بدون احتساب الألف 19 تسعة عشر حرفا. وباحتسابه عشرون20 حرفا.

والمذكور منها في الفواتح: (الألف) والراء واسين والصاد والطاء والعين والكاف واللام والميم والياء . وعددها عشرة أو تسعة وهو النصف في الحالتين.

وينبغي التنويه هنا أنّ التصنيف الأول(الجهر/ الهمس) كان باعتبار الصفات لكن هذا التصنيف:(الحلق /غير الحلق) قائم على أساس مخارج الحروف. وحروف غير الحلق مصطلح واسع تندرج تحته الكثير من المجموعات التصنيفية إذ أن حروف غير الحلق تقسم تقسيمات فرعية لم يأتي على ذكرها.

1-6- حروف الشدة من جملة الحروف المقطعة نصف حروف الشدة من حروف المعجم:

وفي مواصلة نظرية الأنصاف يقول الباقلاني:"وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين:أحدهما حروف غير شديدة ،وإلى الحروف الشديدة، وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي الهمزة والقاف والكاف والجيم والباء والدال والطاء والتاء وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي مذكورة في جملة الحروف التي بني عليها أوائل السور."[17]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحروف التي تقابل الشديدة اصطلح عليها – قديما- بالحروف الرخوة، كما أن هنالك طائفة من الحروف لا تحمل صفات الشدة ولا الرخاوة فلا هي شديدة ولا هي رخوة اصطلح عليها –قديما- بالحروف البينية، و من المؤكد أن الباقلاني لم يغفل عن هذه الحقيقة بل كان شديد الحذر في التعامل مع المصطلحات، فبقوله غير الشديدة: جمع طائفتين من الحروف الرخوة والبينية والجامع بينهما هو أنها غير شديدة .

ولكي تتضح الأمور عند الموازنة؛ لا بد من معرفة أنّه قد اصطلح –حديثا- على **الرخاوة** بالا**حتكاك** وعلى **الشدة** بالا**نفجار**[18]. ويطلق كمال بشر على الشدة مصطلح: **الوقفة الانفجارية**، ويفصل ذلك في الفصل الخامس من كتابه.[19] كما لا ننسى أن المحدثين قد اصطلحوا على الحروف البينية بـ:**الأصوات المركبة**، أو **الاحتكاكية الانفجارية**[20]، بينما يطلق عليها كمال بشر مصطلح: **الوقفة غير الانفجاريّة**[21]. لكن الجوهر لم يتغير فأساس الشدة منع الصوت وذلك يتسبب بالانفجار عند انطلاق الصوت، لكن المنع أو الوقف موجود في بعض الحروف لكن دون أن يؤدي ذلك إلى الانفجار والباقي من الحروف لا يحبس الهواء عند النطق بها إنما يكتفي مجرى الهواء بالضيق فيحتك الهواء بالأعضاء محدثا احتكاكا[22].

وبالعودة إلى نصه نجد أنه أطلق حكما عاما بوجود نصف هذه الحروف في جملة الحروف المقطعة لكنه لم يحدد المجموعة التي تشملها ملاحظته ! هل نصف الشديدة -بما أن ذكرها جاء قبيل ذكر هذه الملاحظة-؟ أم غير الشديدة؟ أو هما معا . وليس السبيل إلى معرفة ذلك إلاّ بالتطبيق:

من بين الحروف الشديدة الثمانية المحددة من لدنّه نجد المذكورة في الحروف المقطعة :القاف والكاف والطاء وفي الهمزة خلاف . وبحسابها تكون أربعة وهي نصف الثمانية وإن كانت ثلاثة فلا بأس لأن القيم التي عبرت عن الأنصاف فيما سبق هي قيم تقريبية. هذا إن لم نشأ أن نسلّم بأنّ هذه النتيجة إقرار من الباقلاني بأنّ الألف الموجودة في (الم) ونظيراتها من المركّبات هي همزة قطع.

ولا بد أن نشير في هذا المقام إلى أنّ الحروف الشديدة أو الانفجارية -كما يسميها- المحدثون ثمانية عندهم أيضا لكنهم أخرجوا الجيم وعوضوه بالضاد[23] لكن ذلك لا يحدث تغييرا في نظرية الأنصاف فالحرفان المتبادلان لا علاقة لهما بتركيب الحروف المقطعة .

ويرى كمال بشر أن إضافة القدماء للجيم إلى قائمة الحروف الشديدة مرده نطقها عندهم الذي يقابل (*dj*) في اللاتينية"[24].

أما إبراهيم أنيس فيحيلنا إلى نطق الجيم القاهرية والتي يقترب نطقها من القاف أو الكاف.[25] ويرمز إليها بـ(ڤ). وهذه المسألة قد أثارت جدلا كبيرا في أوساط القدماء أمثال سيبويه وابن جني[26] وابن يعيش[27] .

1-2-7-الحروف غير الشديدة من جملة الحروف المقطعة نصف الحروف غير الشديدة في المعجم:

الحروف المتبقية من حروف المعجم بعد إقصاء الشديدة منها هي الحروف غير الشديدة عند الباقلاني: "الثاء والحاء والخاء والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء والعين والغين والفاء واللام والميم والنون والهاء والواو والياء. وعددها عشرون . فإذا فرزنا المستعملة منها في الحروف المقطعة وجدناها النصف وهي عشرة – بما أن العدد عشرون عدد زوجي ويقبل القسمة على اثنين- وهي كالتالي: الحاء والراء والسين والصاد والعين واللام والميم والنون والهاء والياء. ولعلنا نستطيع الجزم بعد هذا بأن الجملة الأولى التي استهل بها الباقلاني هذا البحث كانت معكوسة فعلاً. فعدد حروف المعجم عنده ثمانية وعشرون حرفا باعتبار الهمزة والألف حرفا واحدا.

1-7-الحروف المطبقة من جملة الحروف المقطعة نصف حروف الإطباق في المعجم:

يقول الباقلاني: "ومن ذلك الحروف المطبقة، وهي أربعة أحرف وما سواها منفتحة، فالمطبقة: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد. وقد علمنا أن نصف هذه الحروف في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور"[28].

ومن المعلوم أن حروف الإطباق تغير المصطلح الدال عليها دون المساس بها، حيث يصطلح عليها في الدرس الصوتي الحديث بالأصوات المفخمة، وهي ذات القائمة التي سردها الباقلاني. وبما أن نصف

الأربعة اثنان؛ فقد صحّ ما ذهب إليه الباقلاني لأن المستعمل من الحروف المطبقة في فواتح القرآن المقطعة اثنان هما: الصاد والطاء.

1-8-الحروف غير المطبقة من جملة الحروف المقطعة نصفها من مجمل الحروف غير المطبقة من حروف المعجم:

بعد فرز المطبق من قائمة حروف المعجم تتكشف القائمة لنا عن الحروف المنفتحة أو كما اصطلح عليها المحدثون بالمرقّقة وهي كالتالي: الألف (الهمزة) ،الباء ،التاء ،الثاء ،الجيم ،الحاء ،الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين ،العين ،الغين ،الفاء ،القاف ،الكاف ،اللام ،الميم ،النون والهاء والواو والياء . وعددها أربعة وعشرون حرفاً.

المستعمل منها في الفواتح المقطعة: الألف ، الحاء، الراء ، السين، العين، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، والياء. وعددها اثني عشر كما نرى!

1-9-ذكر الألف واللام والميم مجتمعة في (الم) يشير إلى جميع الحروف:

اختتم الباقلاني مبحثه الصوتي عن فواتح السور بملاحظة هامة أساسها مخارج حروف الألف واللام والميم.

قال الباقلاني: "وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم، إذا كانت حروفا كنحو(الم) لأن الألف المبدوءة بها هي أقصاها مطلعا، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبّه بذكرها على غيرها من الحروف"[29].

وقبل أن يأتي من يقول بأن الألف هوائية باطنية لا مخرج لها وإنما ما قاله ينطبق على الهمزة؛ يستدرك الباقلاني: "ويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف لأن الألف قد تلغى، وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحدا".[30]

وهنا يؤكد على الالتباس الواقع بين الألف والهمزة في الحروف المقطعة وهو يرجح -دون أن يجزم- بأنها همزة قطع ، لكنه على عادته يستعمل مصطلحا مطاطيا(مطلع) يتمدد ويتقلص مع تغير المعطيات. فإذا كانت همزة فمخرجها من أقصى اللسان، وإن كانت ألفا فهي تطلع من الباطن -وهو أقصى مكان ينطلق منه الهواء طلوعا نحو الفم. وهي في كلتا الحالتين ترمز إلى كل الحروف التي تشغل الحيز المكاني من مطلعها إلى مطلع اللام.

أما بالنسبة إلى اللام التي قال عنها متوسطة فمخرجها عند ابن جني:"من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، فما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية".[31] فهي قد لا تعد متوسطة المخرج مقارنة مع غيرها من الأصوات لكنها مقارنة مع الألف والميم

متوسطة. ووقوعا بين أقصى مخرج (الألف) وأدناه (الميم) يكون قد مثل جميع الحروف الفموية. والميم مخرجها من بين الشفتين عند ابن جني[32]. وعند المحدثين شفوي أنفي[33] ولا يشترك في هذا المخرج إلا مع الواو والباء وهما ليسا من حروف الفواتح لذا مثلهما.

ولعلنا نستحضر هنا ما قاله الآلوسي في تفسيره لـ(المص) الأعراف:" ذكر بعضهم أن ما من سورة افتتحت ب(الم)إلا وهي مشتملة على ثلاثة أمور ؛ بدء الخلق، والنهاية التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش وإليها الإشارة بالاشتمال على المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين، وزيد في هذه السورة على ذلك الصاد لما فيها مع ما ذكر من شرح القصص وهو كما ترى والله تعالى أعلم بمراده".[34] وقد تم تفصيل ذلك عندنا في مبحث المناسبات.

وإلى قريب من ذلك ذهب ابن قيم الجوزية عند تفسيره(الم) البقرة، يقول:" تأمّل سرّ (الم) كيف اشتملت هذه الحروف الثلاثة، فالألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف أعني الحلق واللسان والشفتين... فهذه الحروف معتمد المخارج التي تتفرع منها ستة عشر مخرجا، فيصير منها تسعة وعشرون حرفا عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين"[35]

وبهذا نكون قد استوفينا دراسة الملاحظات الصوتية التي قدمها الباقلاني؛ نتيجة لاستقرائه لهذه الحروف. كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن الباقلاني ليس من علماء الأصوات وإنما استفاد من معطيات العلماء في هذا المجال وقام بتطبيقها -وهو يقر بذلك- وذلك بقوله: وكذلك مما يقسمون به الحروف...أو قوله: من ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة..وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام..."[36]. وياله من تطبيق .

ومن جملة المستفيدين من هذه الدراسة التطبيقية : جار الله محمود الزمخشري وفيما يلي دراسة الدراسة.

2-التصنيف الصوتي للحروف المقطعة عند الزمخشري:

في تفسيره الكشاف، وأثناء تفسيره لـ(الم) – شأن غالبية المفسرين والقراء والمشتغلين بالإعراب- أشار جار الله الزمخشري إلى أهمية ورود الحروف في القرآن، وأنها أدت معاني متعددة، إذ قال الزمخشري: "اعلم أنّك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف

والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم".[37]

3-1- عدد حروف المعجم في العربية:

ولعلّنا عائدون هنا إلى قضية عدد حروف المعجم فكأن القارئ يلمس تناقضا طي هذا النّص إذ قال عن العدد أربعة عشر نصف حروف المعجم ومنه تستطيع القول أنه أضمر عدد أربعة وعشرون كقيمة عددية لجميع الحروف، إلاّ أنك تجده يعترف صريحا بأنّ عدد السور المفتتحة بالحروف المقطعة، هو عدد حروف المعجم .

لكننا سبق وفسرنا هذا التضارب عند الباقلاني الذي فض الاشتباك الواقع بين الهمزة والألف التي يمكن أن تختزل في حرف واحد، يمثله عمود الألف الذي تعلوه عين الهمزة.

وبهذا يصبح عدد الحروف ثمانية وعشرين حرفا إذا أدمجت الهمزة مع الألف ، وهي عدد زوجي يمكن قسمته على اثنين ويكون حاصل القسمة عددا صحيحا هو أربعة عشر. أما إذا فصلت الهمزة عن الألف يرتفع العدد إلى تسع وعشرين ويبقى حاصل القسمة أربعة عشر ما دمن لا نستطيع التعبير عن الحروف بعدد عشري.

الحروف التسعة والعشرون هي الحروف الأصلية فقط إذ يمكن أن ترتقي حروف العربية إلى ثلاثة وأربعين حرفا:" ويرتقي عدد الحروف إلى ثلاثة وأربعين. فحروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون. وتتفرع منها ستة مأخوذ بها في القرآن وكل كلام فصيح، وهي الهمزة بين بين، والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو عنك وتسمى النون الخفيفة والخفية، وألفا الإمالة والتفخيم نحو عالم والصلوة، والشين التي هي كالجيم نحو أشدق، والصاد التي كالزاي نحو مصدر، والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين. والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء"[38].

فلغة القرآن الكريم إذن معيار للتفاضل بين الحروف الفرعية الأربعة عشر. وما ثبت منها في لغة القرآن مستحسن وما لم يرد فهو مستهجن. ولعل ذلك كان سبب دراسة الحروف المقطعة من الوجهة الصوتية.

3-2- إفادة الزمخشري من تراث الباقلاني:

يواصل الزمخشري:" ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والنون، ومن الشديدة نصفها الألف

والكاف والطاء والقاف. ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والباء والنون،"[39]

ومن الملاحظ أن -وصولا إلى هذه النقطة- لم يضف الزمخشري شيئا على ما جاء به الباقلاني لكنه لم يحل إليه كما كان يفعل الآلوسي عندما يستعير لسان غيره، كما أنّه لم ينسبها لنفسه أيضا - كي لا يفهم ذلك اتهاما للزمخشري بقلة الأمانة-.

فإن قيل أن الرماني لا يعتبر نفسه ممن قسم أصوات الحروف العربية باعتبار الصفات بل كان يشير في كل مرة أنها ليست من عنده ، بيد أن الزمخشري قد خصص مبحثا لمخارج الحروف وصفاتها في كتاب المفصل (ملحق بالإدغام)، بل وتولاه شارح مثل ابن يعيش،[40] ويعتبر مادة صوتية مهمة لمن جاء بعده؟

قلنا: إن الرماني إن لم يكن صاحب فكر صوتي، لكنه كان مطبقا فذّا بحيث التفت إلى تلك الأنصاف ، كما أن الفارق الزمني بين الرجلين يحيل إلى أن الزمخشري قد استند فعلا على قاعدة الباقلاني لكنه أضاف اجتهاداته الشخصية، وهي أكثر تفصيلا، ولعله اعتبر كل ما قيل حتى الآن تمهيدا بديهيا لما سيقوله هو.

ولعله ما جعلنا نشدد على هذه القضية؛ كون الزمخشري (في كتاب المفصل) حدد ثمانية حروف متوسطة -بين الشدة والرخاوة- جمعتها عبارة (لم يروعنا[41]) ، ويحدد الحروف الرخوة بإقصاء تلك الحروف الثمانية بالإضافة إلى أصوات حروف الشدة التي جمعت في عبارة (أجدك قطبت). وذلك في قوله: "والشديدة ما في قولك أجدت طبقك أو أجدك قطبت، والرخوة ما عداها وعدا ما في قولك لم يروعنا أو لم يروعنا وهي التي بين الشديدة والرخاوة"[42]. لكنه في الكشاف يجعل نصف الحروف الرخوة عشرة! فجملها إذن عشرون! والحروف المتوسطة التي جمعتها عبارة(لم يروعنا) كلها موجودة إلّا الواو، فهو ليس من الحروف المقطعة! فهو بهذا لم يحدد نصف الرخوة وإنما نصف ما سماه الباقلاني (غير الشديدة) إذ تجمع الرخوة والمتوسطة.

ويمكن أن نستنتج أن الباقلاني -رغم بعده عن التخصص- كان أكثر حذرا عند استعمال المصطلحات الصوتية! فكيف يستقيم ذلك وهو عالم جليل؟

والحقيقة التي لا ينبغي تجاهلها أن الزمخشري - الذي يبدو لوهلة -متناقضا مع نفسه، ومع الدراسات الصوتية العربية القديمة؛ لكنه كان موافقا للدراسات الصوتية الحديثة. وقضية تناقض آراءه ليست سوى فهم سطحي لكلامه.

فإن قيل: وكيف ذلك والدراسات الحديثة ترى أن صفة البينية (الانفجارية الاحتكاكية) لا تتحقق سوى في الجيم الفصيحة؟ وعدد الحروف الانفجارية(الشديدة) ثمانية[43] وقد وضحنا سابقا اختلافهم مع القدماء في الجيم القاهرية والضاد ولا علاقة للاثنين بالحروف المقطعة، لكن مرادنا هنا أن الباقي من الحروف عشرون ونصفها عشرة هي المذكورة في الحروف المقطعة وقد تم تحديدها سابقا.

وبالنسبة للتناقض الذي يوحي به رأيه: إذ عد الشديدة ثمانية حروف(8)+الرخوة عشرون (20) + لم يروعنا البينية(08)=36 فكيف يستقيم ذلك؛ وعدد حروف العربية الذي حدّده في الكشاف تسعة وعشون(29) حرفا ؟

قلنا أن ذلك هو الأصل ،لكنها يمكن أن ترقى إلى ثلاثة وأربعين وما أخذ من القرآن وفصيح العربية تفريعا للحروف التسعة والعشرين ستة حروف هي:(الهمزة بين بين، والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم(الخفيفة)، وألفا الإمالة والتفخيم، والشين التي هي كالجيم، والصاد التي كالزاي) فيكون مجموع الحروف في العربية الفصيحة 29+06=35 ولا بد من معرفة الحرف الإضافي ليتطابق الرقمان، ولعل ذلك الحرف هو محل الخلاف بين الصوتيين القدماء والمحدثين وقد أشرنا إليه سابقا وهو الجيم القاهرية. وقد فصّل كمال بشر وإبراهيم أنيس في هذه القضية.[44] حيث أن الزمخشري ذكره في جملة الحروف المستهجنة فهو إذن خارج عن دائرة الفصيح، وذلك في قوله: "والبواقي حروف مستهجنة وهي الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالفاء".[45]

ولعلنا من خلال هذا القول: نستنتج سبب اختلاف المحدثين من الصوتيين مع القدماء حول الضاد في قائمة الحروف الشديدة (استبعدها القدماء وأقرها المحدثون)، ويبدو أنّ الضّاد المستبعدة هي الضاد الضعيفة.

كما أننا لا نستطيع الوقوف على آراء الزمخشري الصوتية في الفواتح المقطعة في كتاب الكشاف بمعزل عن كتاب المفصل في صنعة الإعراب فلتكتمل الصورة يجب التنسيق بين الكتابين فما أشكل في الأول يردّ إلى الثاني فيوضحه ويفسره.

ولن نبرح هذا الموضع حتى نشير إلى أنه لا خلاف على الحروف المطبقة والمنفتحة بين الباقلاني والزمخشري ولا بين علماء الصوتيات الحديثة إلا في المصطلحين الحديثين التفخيم والترقيق ولا خلاف في الجوهر. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تطابق النتائج التي وصل إليها الرجلان و علم الأصوات الحديث.

4-1- تفصيلات الزمخشري في نظرية أنصاف صفات الحروف:

4-1-1- الحروف المستعلية والحروف المنخفضة:

ذكر الزمخشري تفصيلات لم يذكرها الباقلاني قبله تضاف إلى مزايا دراسته حيث قال: "ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون."[46]

ولمعرفة قائمة **الحروف المستعلية** كاملة كان لابدّ من العودة إلى المفصل فوجدنا قوله: "المستعلية: الأربعة المطبقة، والخاء والغين والقاف والمنخفضة ما عداها."[47]

فالأربعة المطبقة هي: الصاد و الضاد والطاء والظاء. ضف إليها: الخاء والغين والقاف . وعددها سبعة وهو عدد فردي لا يقبل القسمة على اثنين؛ ولأننا لا يمكن أن نعبر عن عدد الحروف بعدد عشري؛ استعمل المدور وهو ثلاثة حروف هي الصاد والقاف والطاء.

والحروف المنخفضة هي حصيلة طرح الحروف المستعلية من مجموع حروف المعجم ، وهي تساوي اثنين وعشرين حرفا هي: الألف والباء ، التاء و الثاء، الجيم والحاء، الدال و الذال، الراء والزاي، السين والشين، العيين والفاء، الكاف واللام، الميم والنون، الهاء و الواو والياء والهمزة. ونصف الاثنين والعشرين هي الحروف الأحد عشر المذكورة في كلام السابق وجاءت هذه الحروف في فواتح: الرعد، ومريم، وغافر، والقلم.

ولعل الزمخشري استشعر التباسا بين الإطباق والانخفاض فراح يبرز الفوارق بقوله:" والاستعلاء ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق والانخفاض بخلافه"[48].

ولعلنا من خلال هذا التعريف نضع أيدينا على سر اختلافه مع المحدثين من علماء الأصوات حين أقصوا حروف الإطباق من قائمة الحروف المستعلية، حيث يرون في تعريفهم الحروف المستعلية بأنها: "الأصوات التي ترتفع فيها مؤخرة اللسان، نحو اللهاة في أثناء النطق بها فيخرج الصوت غليظا مفخما، لكن دون مبالغة في تغليظ النطق". إذ المبالغة في تغليظ النطق جوهر الخلاف بينهم وسوى ذلك متفق عليه.

فإن قيل : إذا كان المحدثون من علماء الأصوات العرب قد نفوا الاستعلاء عن الحروف المطبقة فهل يعني ذلك أنها منخفضة عندهم؟ إذ أن الأنصاف المتبقية(نصف المستفلة) متعلقة بهذه القضية!

قلنا: هذا ليس بالضرورة؛ لأنهم يصطلحون على الإطباق بالتفخيم، ويعتبرون الاستعلاء تفخيما جزئيا أو تفخيما من الدرجة الثانية. وعليه فإن الاستعلاء يندرج ضمن مراتب التفخيم وليس العكس . كما ارتضاه الزمخشري الذي رأى الإطباق (التفخيم) من فروع الاستعلاء.

ومن خلال ما قيل يمكن استنتاج أنه إذا كان الاستعلاء نوع من التفخيم -على رأي المحدثين- أو أنه أصل تفرع عنه الإطباق، فالنتيجة واحدة بالنسبة للاستفال (باصطلاح المحدثين) أو الانخفاض (باصطلاح القدماء) فهو ما دونهما . وبالتالي عدد الحروف المستفلة اثنان وعشرون نصفها أحد عشر حرفا تمّ بيانها أعلاه عند الزمخشري ولا خلاف عليها.

2-1-4 حروف القلقلة:

قال الزمخشري: "ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء"[49].

والقلقلة عنده في المفصل:" ما تحسن به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط."[50]

وحروفها خمسة: القاف والدال والطاء والباء والجيم مجموعة في قولهم:" قد طبج"[51]

و مما تنبغي معرفته أن تصنيف الحروف باعتبار القلقلة (التحريك أو التشريب أو الصويت) ليس من التصنيفات الحديثة لا بهذا المصطلح ولا بغيره من المصطلحات لكن حروفها الخمسة كانت محل نقاش من ناحية جمعها لصفتي الشدة والجهر قد تم الاتفاق بينهم حول: القاف والطاء والباء والدال كحروف القلقلة، لكنهم اختلفوا في حرف الجيم فنطقها الفصيح (*dj*)يخرجها من دائرة الشدة، ونطقها باللّكنة القاهرية(*g*) أو الشامية(*j*) يجعلها مستهجنة عند علماء العربية أمثال سيبويه وغيره[52]. وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسألة في موضعها.

وما يهمنا هنا أنه بإقصاء المحدثين للجيم يخفض عددها إلى أربعة وبهذا تتحقق المساواة بين النصفين .اثنان مذكوران في الفواتح(القاف والطاء)، واثنان غير مذكورين (الباء والدال).

3_ ملاحظات على التصنيفات الصوتية:

اعتبرت الحروف المقطعة مادة دسمة طبق من خلالها البلاغيون ما تعلموه من الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني على هذه الحروف .

نستطيع القول من خلال هذه الدراسة أنّه قد صدقت نظرية أنصاف الصفات التي جاء بها الباقلاني، وفصلها الزمخشري إلى حدّ بعيد. حتى مع التعديلات التي طالت قوائم الحروف التي تندرج تحت كل صفة- مع تطور المختبرات التي تكشف عن الصوت اللغوي- وإن لمسنا تغييرا طفيفا طرأ على بعض القوائم فذلك مرده في غالب الأحيان إلى تطور النطق بالحرف تاريخيا وجغرافيا ولا يعكس ذلك خطأ في صميم النظرية بالضرورة.

يمكن القول أن علماء الصوت العرب وعلى رأسهم الباقلاني كانوا حذرين في التعامل مع المصطلحات في هذه النظرية حتى أنهم تركوا للزمن والعلم مساحة للتصحيح المخبري، بحيث استعملوا

مصطلحات مطاطية تستوعب التعديل، مثل النصف والضعف والجملة. عوض الضبط الصريح بالأرقام بحيث إذا عدلت القائمة الأصلية فارتقى عدد حروفها أو نقص لا يغير ذلك شيئا لأن النصف عندهم يستوعب الأعداد الصحيحة والعشرية عن طريق التدوير .

تصنيفات نظرية الأنصاف كانت باعتبار الصفات لكننا لاحظنا تقسيما واحدا باعتبار المخرج (الحلق وغير الحلق)، لكن ذلك لا يحيل إلى خلط الباقلاني بين التقسيمين -وهو عالم كبير- وتبعه في ذلك الزمخشري فكيف يغفل الرجلان؟ ويمكن تفسير ذلك بأن صنيعهما كان من قبيل التنبيه على إمكانية تطبيق النظرية على أساس مخارج الحروف أو حصر تطبيقها على مخرج الحلق.

ينبغي التذكير في هذا الصدد أن الفواتح ليست منزلة كي تكون تابعة لمسألة أقسام الحروف وأنواعها أو لتصب صبا في قوالبها وإنما هي تابعة لأهداف الكتاب الذي أنزلت فيه ولوسائله البيانية الخاصة وإن كان مع ذلك موافقة لهذه الأقسام والأنواع في عمومها، وقد مثلت الدكتورة سهام الخضر لذلك بالشاعر الذي يمارس نشاطه الشعري في حدود موسيقى الشعر وبحورها. ولله المثل الأعلى.

الاحالات:

[1] لعلنا لن نجد أروع من هذا النص نفتتح به هذا الفصل فهما حاولنا إعمال فكرنا لن ينتج عنا ما يضاهيه ويقدم ما نرجوه بهذه الوظيفية إذ تتلخص مهمتنا في هذا المبحث عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير في القرآن: مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية"ط1 1983م ص 43.

[2] د- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن.دار العلم للملايين، بيروت، 1965ص235.

[3] المرجع نفسه: ص235.

[4] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، 1972 ج 1 ص 167.

* كلمة ودج تعني العدد ثلاثة عشر بحساب الجمّل

[5] بدر الدين الزركشي: البرهان ج1 ص 167.

[6] صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص 236.

[7] بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج1 ص 236.

[8] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن (ص44-46).

[9] ينظر تفصيل المسألة الخلافية بين العلماء حول الألف والهمزة عند د/عبد الصبور شاهين :القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي ص 17.

[10] الباقلاني إعجاز القرآن ص 44.

[11] ينظر حسام البهنساوي: علم الأصوات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 سنة 2004ص50.

[12] ينظر: ابراهيم أنيس الأصوات اللغوية : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ص 77.

[13] إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية 83-84. وبتفصيل أكثر صص 53-54.

[14] حسام البهنساوي : علم الأصوات:ص 99، 100.

[15] ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات ص81.، إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية 86. محمد كمال بشر علم الأصوات، القاهرة، دار غريب سنة 2000، ص 186.

[16] الباقلاني: إعجاز القرآن ص 44-45.

[17] الباقلاني: إعجاز القرآن ص 45.

[18] ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 52.

[19] ينظر: علم الأصوات ص ص207-212.

[20] ينظر حسام البهنساوي: المصدر نفسه ص53.

[21] كمال بشر: علم الأصوات ص 205.

[22] ينظر: المصدر نفسه ص ص 207-212

[23] ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 52.

[24] ينظر :كمال بشر: المصدر نفسه ص 209

[25] إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 25-26

[26] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392ه)- سر صناعة الإعراب ،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط1،2000م ج1ص 46

[27]يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ(شرح المفصل للزمخشري قدم له :الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط1- 2001 مج10 ص 127.

[28] إعجاز القرآن ص 45.

[29] إعجاز القرآن ص 46.

[30] المصدر نفسه ص 46.

[31] حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 48.

[32] ينظر المصدر نفسه ص 48.

[33] ينظر المصدر نفسه ص

[34] روح المعاني ج8 ص 74.

[35] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751ه): التفسير القيم ،تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروتط1،1410هـ، ص123

[36] الباقلاني : إعجاز القرآن ص 44، 45.

[37] الزمخشري، الكشاف:ج1ص 34.

[38] الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ص 487.

[39] الزمخشري :الكشاف ج1 ص 35.

[40] يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت643ه)ـ :شرح المفصل للزمخشري: قدم له :الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - ط1،2001 م ،ج5 ص- ص 515-525.

[41] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق: علي بوملحم ،مكتبة الهلال – بيروت ،ط1، 1993 ص 488 .

[42] الزمخشري: المفصل ص 488.

وقد حدد علماء القراءات الحروف البينية (بين الشدة والرخاوة) بقولهم: (لن عمر). وعلمنا بأن مقدار الصفير هو الذي يحدد الرخاوة -عند المحدثين - فأكثرهم صفيرا أكثرهم رخاوة ،ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس الاختلاف في هذه الحروف :"قد يتسع الفراغ مع بعض الأصوات اتساعا كبيرا يسمح بمرور الهواء دون أن يحدث أيّ نوع من الصفير أو الحفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء. ولعل هذا هو الذي دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أي التي ليست انفجارية ولا احتكاكية.والمحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا على أن هذه الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لاهي بالشديدة ولا هي بالرخوة وسموها : *Liquids* أما تسميتها بالأصوات المتوسطة فليست تعني أكثر من أنها تخالف النوعين السابقين، أي أنها ليست بالشديدة ولا الرخوة. وقد زاد القدماء على هذه الأصوات الأربعة صوت العين فعدوها صوتا متوسطا أيضا ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها" الأصوات اللغوية ص 26. فهو بذلك متفق مع جمهور علماء الصوت من القدماء على حروف لن عمر باستثناء العين التي يتركها للزمان والتجارب العلمية فالاختلاف يكمن في دقة المصطلح الذي يعكس دقة التجارب العلمية المفتقر إليها قديما ، ولا خلاف في جوهر الفكرة.

لكن ماذا بشأن الحروف الثلاثة المتبقية عند الزمخشري (الألف والياء والواو)؟

من المعروف أن أصوات الحروف المدية : الألف والواو والياء تسمى حروف اللين عند المحدثين من علماء الصوت، وذلك باعتبار طبيعتها الصوتية "فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين *Vowels* هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه -كما يحدث مع الأصوات الرخوة-أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور -كما يحدث مع الأصوات الشديدة- فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع"إبراهيم أنيس: الصوت اللغوي ص 27. وقد اتضحت الصورة إذن فالمرجح أنّ الزمخشري عندما أضاف الألف والياء والواو إلى قائمة الحروف البينية قصد المدية منها ولم يقصد صورها الأخرى (الهمزة والياء والواو غير المديتين) وهي على ما أظهر إبراهيم

أنيس اتخذت معبرا خاصا من باطن الرئتين إلى خارج الفم يختلف عن مسار الرخوة في اتساعه، وعن الشديدة في عدم وجود حواجز تحبس الهواء في موضع معين . ولعل هذا كان مبرر الزمخشري في جعله إياها بين الرخوة والشديدة. وبهذا فالزمخشري لا يختلف كثيرا مع علماء الصوتيات لا القدماء منهم ولا المحدثون .

[43] ينظر حسام البهنساوي : علم الأصوات ص 52-53.

[44] الأصوات اللغوية: ص 84. علم الأصوات: ص 299.

[45] الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ص 488.

[46] الكشاف ص35.

[47] الزمخشري: المفصل:488.

[48] المفصل في صنعة الإعراب ص488.

[49] الكشاف : ج1 ص35.

[50] ص 488.

[51] المفصل ص488.

[52] ينظر: كمال بشر: الأصوات اللغوية ص ص381-384.